

محمد متولى الشعراوى

السماء المجلدة

ورد شبهات المستشرقين

أعده للنشر

أبو هانى الأنصارى

دار المسيلة المعاصرة

بالقاهرة



مناقبة الخلقية والخلقية «حليته صلى الله عليه وسلم»

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عند ربه بالمكان الذي نعرفه له ، وهو عند المؤمنين به بالمكان الذي يرضى الله عن وجوده في نفوس من آمن به . ورسول الله صلى الله عليه وسلم حينما يتكلم المنصفون عن صفاته الخلقية انما يتكلمون عن صدي ما استمالتهم صورته صلى الله عليه وسلم استمالة — كما يقول الأدباء — كانت قيد الناظر اليه . أى أن الناظر اليه صلى الله عليه وسلم كان يقيده كل حسن فيه وما ذلك الا لان الطاقة الحبية والطاقة القلبية لا تجعل لناظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معدى عن استدامة النظر اليه ، والنظر اليه كما عرفنا يعطى اشعاعات اليقين ويعطى اشعاعات الايمان والدليل على ذلك أن من رآه صلى الله عليه وسلم كان صاحبيا ومعنى ذلك أن للرؤية الذاتية تأثيرا في كيان المؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكون الواصفين له يذققون الوصف له في أدق الاشياء يدل على أنهم لم يفتهم شيء من صفاته صلى الله عليه وسلم ، وان اختلف الواصفون في شيء فانما هو اختلاف اللقطات أو اختلاف التعبير عن اللقطات ، فان مثلا آلات التصوير حينما تصور انسانا فعلى قدر جودة الآلة وعلى قدر قدرة ومهارة من يستعمل هذه الآلة تخرج الصورة طبق الأصل ، ولكنهم في الجملة يلتقون على اشياء ، هذه

الأشياء تميزه صلى الله عليه وسلم ببنية كاملة متكاملة بحيث يكون للقلب منه غذاء وللعين منه غذاء وللأذن منه غذاء ، بمعنى أن ادراكات المؤمن كلها يكون لها غذاء منه صلى الله عليه وسلم .

ونحن اذا نظرنا الى جملة ما وصف به صلى الله عليه وسلم نجد الجامع لذلك هو رواية سيدنا الحسن بن علي عن خاله هند بن ابي هالة ، قال الحسن :

(سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم) والتعبير هنا بكلمة حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على انه يلحظ أن كل وصف فيه حلو ، فكأن وصفه كانت حلية في ذلك الكمال النبوي . (وأنا أبدو أن يصف لى منها شيء ... لماذا ؟ .. اتعلق به) يعنى حين يتصور ذاته الشريفة تحدث له صورة في نفسه عن هذه الذات لينقلها الى المؤمنين به فتحدث لهم أيضا صورة نفسية عن هذه الذات . وولع النفس المحببة بالصورة المادية الشكلية لمن تحب أمر نعرفه عند انكتاب وعند الأدباء وعند الشعراء بل وعند النبوة أيضا ... فان رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما عرج به الى السماء وتكلم عن سيدنا موسى وتكلم عن سيدنا عيسى وتكلم عن سيدنا ابراهيم ، سئل من أصحابه : ما كان شكل ابراهيم ؟ ... ما كانت صفة موسى ؟ ... ما كان شكل عيسى ؟ ... فيقول صلى الله عليه وسلم : (أما موسى فرجل آدم طوال كأنه من رجال أزد شنفوءة) اعطى وصفا مقربا لسيدنا موسى بالأدمة في لونه وبهذا الطول ... وحينما يتكلم عن سيدنا عيسى يقول : (كثير خيلان الوجه) ومعنى كثير خيلان الوجه في عرفنا الحسنات التي نقول عنها : فلان في وجهه حسنة ، أى في وجهه حالات كثيرة (يقتز وجهه) يعنى مندى دائما رطب (كأنه يخرج من ديماس) أى كأنك حين تراه تراه خارجا من حمام

وما يتبع ذلك من كثرة العرق المتصبب منه . وبعد ذلك يقول عنه عليه السلام : (أشبه أصحابكم به عروة بن مسعود الثقفي) فكان من يريد أن يتخيل صورة عيسى عليه السلام فعليه أن ينظر الى عروة .

وبعد ذلك يقول عن سيدنا ابراهيم : (أما ابراهيم فأشبهه الناس به صاحبكم هذا) يعنى ذاته الشريفة .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل ذلك الا لأنه يعلم ان النفس المحبة تشتاق على أن تأخذ فكرة ولو جميلة عن تحب .. حتى اذا ما تصور المعانى تصورها فى مجنب يمكن للعين أن تستوضحه ويمكن للنفس البشرية أن تأنس بذلك القالب ، ... فهو حين يسأل الحسن خاله هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يعطى نفسه ذلك الزاد التصورى ، ويريد أن ينقل لنا ذلك الزاد التصورى ، والا فمن منا يتخيل كيف كان شكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. كيف كان طوله ؟ .. كيف كان لونه ؟ .. كيف كان شعره ؟ ... كيف كانت مشيته ؟ .. كل ذلك امر شغل الناس جميعا ، فلو لم تأت هذه المسألة فى سيرته صلى الله عليه وسلم لكان ذلك هو العجب ... ولكن مجيئها يمثل انه أعطى شيئا تتطلبه النفس البشرية ، فماذا قال هند بن أبى هالة فى حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما) ومعنى فخما مفخما أن العين لا تتقحمه ساعة ينظر اليه الانسان يجد له فخامة ... يجد له عظمة ... يجد له هيبة ... اذن لا تتقحمه العين يعنى يعطى شيئا من الجلال وشيئا من المهابة وهذا امر يتطلبه موضعه من رسالة الله فى الأرض ... فخما مفخما ... ثم

ينتقل الى وجهه ليعطينا الصورة ... والوجه هو السمة الاصلية
 في تشخصات الأشخاص ، فيقول : (يتلألا وجهه تلالا القمر ليلة
 البدر) ... وبعد ذلك يعطينا الفكرة عن قوامه صلى الله عليه
 وسلم فيقول : (هو أطول من المربع واقصر من المشذى)
 والمربع الذى كما نقول فى عرفنا : أنه مربع ، يعنى : طوله اقرب
 من عرضه ... والمشذى هو الطويل البائن فى نحافة ... تخيل
 الصورتين : الطويل البائن الطول فى نحافة والرجل المربع
 الذى يكاد طوله يقرب من عرضه .. الصورة اذن ليست
 الصورة الكمالية التى توجد للطول ... هو أطول من المربع
 واقصر من المشذى ... يعنى بين بين ... يعنى هو فى اوسط
 القوام ... وبعد ذلك يقول : (عظيم الهامة) ومعنى عظيم الهامة
 أن رأسه وما يحملها من رقبة ساعة تراها ترى عظمة تستميل
 وتستلفت النظر .. وبعد ذلك يقول عنه (وكان رجل الشعر) ، والرجل
 من الشعر هو الذى بين الجعودة والسبوبة يعنى (بعرفنا)
 ليس بالشعر الناعم أو الشعر المجعد .. يعنى أنه شعر
 متموج ... (اذا انفردت عقيقته . فرق والا فلا ، يتجاوز شعره
 شحمة أذنيه اذا هو وفره) ومعنى اذا هو وفره ان ذلك لم يكن
 حالة رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما ... فلأنه كان مثلا
 فى النسك يحلقها بالموسى .. اذن فحين يأتى امر نسكى يتطلب منه
 صلى الله عليه وسلم أن يحلقه .. يحلقه .. بالدليل القوى
 (اذا هو وفره) .. وكأنه كان يوفره مرة ولا يوفره مرة أخرى ..
 وبعد ذلك ينتقل من موضوع شعره فيتكلم عن شئ آخر .. يتكلم
 عن لحيته يقول : (كان كث اللحية) ...

وبعد ذلك ينتقل الى عينيه فيقول (ادعج) والادعج هو من
 كان سواد عينيه شديدا ... وبعد ذلك ينتقل الى شئ آخر
 فيقول (كان ضليع الفم) أى متسع .. وهذا امر تحمده العرب ..

وخصوصا فيمن كانت رسالته البيان ولذلك يقولون : مفوه .. أى يتكلم بالكلام ، وفمه ليس ضيقا بحيث يحجز الصوت حجرا يجعله أشبه بالصغير ولكن الصوت يأتى من كل جوانب فمه وذلك أدعى الى أن يأخذ الصوت كل الانغام التى تؤثر فى السامع ، .. وبعد ذلك يقول (معتدل البدن متماسكا) ومعنى متماسك أن سمعته ومعنى الشنب فى لغة العرب أن أسنانه رقيقة دقيقة ... فيها مائية تعطى بريقا ... وبعد ذلك يقول (مفلج الأسنان) مفلج الأسنان يعنى فيه فضاء بين أسنانه وذلك أدعى الى طيب الفم لان بقايا الطعام لا تتخلل الفضاء بين أسنانه فتتعفن ، .. وبعد ذلك يقول (معتدلا البدن متماسكا) ومعنى متماسك أن سمعته ليست مرهلة أو كما نقول مضمر ، أى ان كان فيه شئ من السمنة فليس من السمنة المستلقية ... وبعد ذلك ينتقل نقلة أخرى فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس) وهى رؤوس العظام ومعنى ضخم الكراديس أنه منبسط يعنى ليس كالأحدب أو المتجمع أو المنقبض بل هو مفرد القوام ... وبعد ذلك يتكلم عنه صلى الله عليه وسلم فيقول : (وكان صلى الله عليه وسلم اشعر الذراعين) أى ذراعه به شعر (والمنكبين وأعالى الصدر ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالفرط) يعنى أنه دقيق .. شعرة متواترة وراء شعرة ... فانظروا الى هذه الدقة التى استوعبت حليته صلى الله عليه وسلم ... وبعد ذلك يقول : (خمصون الاخمصين) أى أن وسط قدمه بالداخل لا يلتصق بالارض ، وهذا عيب خصوصا فيمن يطلب منهم أن يكونوا عدائين أو جرائين أو ... الخ وهو ما يسمى (فلات فوت) ومع ذلك كان يقول : (وكان مسيح القدمين) يعنى أنه لا توجد تجاعيد فى بشرته ... فاذا صببت عليهما الماء لا يحتجز منه شئ بل يسيل عنهما الماء ويتدحرج عليهما كأنهما من البلون .. وبعد ذلك ينتقل الى وصف آخر فيقول : (كان صلى الله عليه وسلم شسن الكفين

والقدمين) ومعنى ذلك كما نقول فى عرفنا : غير ظاهر العروق ..
(وكان سائل الأطراف) يعنى أصابعه فيها شئ من الطول
والاسترسال ...

وحينما يتكلم بعد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقل
الى شئ آخر فيقول (وكان دائماً خافض الطرف) وخافض الطرف
يعنى مغمضاً بعض الشئ ... (نظره الى الأرض أطول من نظره
الى السماء ، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه
بالسلام) ومعنى يسوق أصحابه أنه حينما كان يمشى دائماً يكون
أصحابه أمامه ويكون هو صلى الله عليه وسلم خلفهم ... ولما
سئل عن ذلك مرة قال : (خلوا ظهري للائكة ربى) ... ويبدأ
من لقيه بالسلام ... وذلك شأن المتلطف ... كل هذه الصفات ،
الصفات الخلقية تعطينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استوقف
أنظار هؤلاء حتى استوعبوها هذا الاستيعاب لينقلوها الينا لتعطينا
شيئاً من راحة النفس حين نتصور كيف كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

* * *

منطقه صلى الله عليه وسلم

الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة .. وأسوة انما تأتي
فيما يمكنه ان يصنعه المتأسى بالمتأسى به ... صفاته صلى الله
عليه وسلم الخلقية لا مجال لأحد أن يقول : أتأسى بها لأنها هبة
الله تعالى للإنسان ... اذن الصفات الخلقية التي تكلم عنها
الحديث انما كانت مدخلا ليعطينا الصورة عن الأشياء الأخرى حتى
تقع التصورات المعنوية التي يمكن أن أحمل سلوكي عليها على
شيء موضح في الذهن يستطيع الإنسان أن يجعل هذه الخلال
قائمة به ... اذن فالصفة الخلقية لا تصل لنا بالأسوة فيها أبدا
لأن هذه هبة الله .. ولا نقدر أن نقول لرجل : تأس برسول الله
أن تكون طويلا ... أو تأس برسول الله أن تكون قصيرا ..
أو ... الخ . ولكن الأسوة الحقيقية هو فيما يصدر عن هذه
الذات الكاملة من الصفات الخلقية التي يمكن أن يكون للأسوة
فيها مجال .. ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمته عن ربه
البيان .. لقد كان أول شيء انتقل اليه الحسن في سؤاله خاله
هند بن أبي هالة قال : صف لي منطقه ... فأعطانا هند صورة
عن منطقه فقال :

(كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحران) أى أنه كان
يحزن للمهمة التي كان يقوم بها ... وهذا الحزن هو ما يفسره
الحق في قوله سبحانه (لا تحزن) (لعلك بافع نفسك على

آثارهم) ... حينما يجد انصرافا عن الدعوة وهى دعوة متضححة فى ذهنه وبفطرته ، ويتكوينه يعجب ان هؤلاء لا يؤمنون بها ... فهو يحزن لهم ولا يحزن الأمر يتعلق به هو ... ولذلك يجب ان نلتفت جيدا الى ان الحزن من رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يؤخذ لو ان الحزن كان الأمر يتعلق بشيء ناله ، ولكن الحزن كان لأمر يتعلق بشيء ينال الآخرين .. وهذا يدل على حرصه صلى الله عليه وسلم ... فاذا انا حزنت مثلا لان ابنى لا يطيع كلامى او لان ابنى لا يلتفت الى واجبه فهو لا يعتبر حزنا لأمر عائد على وانما هو حزن على من يحزن عليه .. لا على نفسه ... فقال له عنه (كان متواصل الأحزان دائم الفكرة) دائم فكره لأن مهمته تستلزم هذا .. كيف يقابل هؤلاء ؟ ... كيف يكون منهج الدعوة ؟ ... ماذا يصنع فى أتباعه المضطهدين ؟ ... ماذا يصنع فى القوم يتكالبون على الضعفاء ويريدون ان يفتنوه عن دينهم ؟ .. وبعد ذلك يقول : (وكان طويل السكوت) .. ثم ينتقل الى كلامه صلى الله عليه وسلم فيقول : (يفتح الكلام ويختمه بأشداقه) يعنى — بعرفنا — لا يتكلم من طرف متأخره .. فكلامه يملأ فمه حتى يأتى من هذا الشدق ... أى كما قلنا سابقا (مفوه) ... وبعد ذلك قال : (يتكلم بجوامع الكلم) ومعنى جوامع الكلم : الكلمة الموجزة تحمل المعانى المطلوبة ... لماذا ؟ .. لأن عنده اعجاز ومادام عنده اعجاز اذن فيمكن ان يلزم كثيرا من المعانى فى اللفظ الموجى والمعبر (يقول القول فصلا لا فضول فيه) أى لا زيادة فيه عن المطلوب ... ولا تقصير فيه عن المطلوب ... وبعد ذلك يقول : (كان دمساً) ومعنى دمساً انه كان صلى الله عليه وسلم لين الخلق يأنس اليه من يلقاه ... ويأنس اليه من ينظر اليه ويأنس اليه من يتحدث اليه ... يقول : (لا يذم ذواقا ولا يمدحه) أى لا يذم طعاما قدم اليه ولا يمدحه ... لا يذمه لأنه نعمة ... ولماذا لا يمدحه ؟ ... لأن مدح أى ذواق

ربما كان تعريضا لأن الطعام الآخر الذى لم يمدحه مكروه فلا يذم
ذواقا ولا يمدحه ... (لا يقاوم غضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى
ينتصر له ، ولكنه كان لا يغضب لنفسه ولا يستغزى شيء) •

وبعد ذلك يتكلم عن حالته الأدائية لحركة حين يتكلم فيقول :
(اذا أشار أشار بيده كلها) يعنى لا يشير بالاصبع كما اعتاد
الكثير من الناس ... ولكن لماذا اذا أشار أشار بكفه كلها ؟ ..
فكانه ادخر المسبحة للتوحيد فقط ... لا يشير بها الا للتوحيد
فقط ... فيشير بكفه كلها ... (واذا تعجب قلبها) اى اذا تعجب
من امر صار يقلب كفيه ... (واذا تحدث اتصل بها) ومعنى
اتصل بها أن يضرب بابهام اليمنى راحة اليسرى ... (واذا غضب
اعرض واشاح) ومعنى أنه اذا غضب أعرض واشاح أنه رعوف
حتى في حالة غضبه .. لا يريد أن يرى من أغضبه شكله وهو
غضبان .. (واذا فرح غص طرفه جل ضحكه التبسم) اى لا يقهقه
... (ويفتر عن مثل حب الغمام) •



مدخله صلى الله عليه وسلم ومجلسه

لنستدل على دقة التوثيق في كل ما نقل .. ينتهى هنا كلام الحسن رضوان الله عليه ... ثم ينتقل الكلام الى أخيه الحسين ، قال الحسن في الحديث : (فكتمتها عن الحسين زمانا) أى كتمت هذه الأوصاف التى قالها هند للحسن عن أخيه الحسين (ثم حدثته بها فوجدته قد سبقنى اليه فسأل أباه عليا) وليس هند ، ولكن سأل عليا أباه ... وعلى هو من هو أداء وبياننا ... وحبا واستقبالا لصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فسألته عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله وكل شيء يتعلق به ... فلم يدع من ذلك شيئا - الرواية هنا للحسين - قال الحسين : (سألت أبى عليا عن دخوله - صلى الله عليه وسلم - فقال : كان دخوله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه مازونا له في ذلك) يعنى تميز رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنه كان اذا دخل على قوم لا يستأذن ... لماذا ؟ .. لان عنده الاشرقيات .. وعنده النور الذى يعرف أنه لا يدخل على انسان وهو في حال لا يجب ان يراه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ومادام هذا الأمر ، ماهو معنى الاستئذان ؟ ... الاستئذان الا اقتحم على احد حجابيه .. لماذا ؟ .. لأنه ربما كان في وضع لا يجب ان يراه عليه ... ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم باشرافياته يعرف أنه حين يدخل لا يكون من دخل عليه في حال يجب أن يستره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ... (وكان اذا آوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءا لله) لان هذا هو المعين الذى يتلقى منه الكماليات .. (وجزءا لأهله ، وجزءا لخاصة نفسه) فاذا ما نظرنا الى هذا الجزء الذى هو خاصة نفسه ... كان ماذا يصنع فيه ؟ ... (جزأه - أى الخاص بنفسه - بينه وبين أمته فإرد ذلك على العامة بالخاصة) يعنى الخاصة الذين يفهمون اليه ، يقول لهم هذا فى هذا الجزء من خاصة نفسه ما ينقلونه الى العامة ... لانه ليس من المعقول ان عامة المسلمين كلهم يذهبون الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم : والمكان الضيق الذى به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان يرد ذلك على العامة والخاصة ... (وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه) أى يأذن لهم بالدخول عليه ... (وقسمتهم الوقت) كأن كل واحد لبقامه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقديم او اعطاء وقت زائد على قدر فضلهم فى الدين (فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) اذن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل مقاييس الاذن وطول المدة معه او طول الحديث معه يتحكم فيه منزلة الرجل من الدين ، ومادام التحكم المنزلة من الدين ، فهذا يعطينا دستوراً للحاكمين أن يكون المقياس مقياساً دينياً ... وليس مقياس النفاق والغش ... فعلى مقدار حظه من دين الله بأخذه اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأخذ قسمته ... (منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ثم بعد ذلك يتشاغل بهم) يعنى لا يكونون معه ثم يسرح بعيداً عنهم ... بل هم يتشاغلون به ويشغلهم فيما يصلحهم والامة من مسائته عنهم ... يعنى حين يدخل يسأل الانسان عن حال نفسه ، وهذه عملية نفسية .. لماذا ؟ ... لأن هذا الانسان القادم اليك اذا كان عنده شيء من مشاغله الخاصة يشغله لا يحسن استقبال

ما تقول ... ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم أدوات استقبال ... الفرصة التي يجتمعون معه فيها ينقلون الى الناس شيئاً ، فاذا ما كانت هناك أمور تشغله في خاصة نفسه ربما شغلته هذه الامور .. او ربما اخذت هذه كل فكرة يجب ان يستوعبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسالته عنه وأخبارهم بالذي ينبغي لهم ... ثم بعد ذلك ثمن الاذن عليه وثمر القسمة الزمنية التي يعطيها بطلب منهم ان يؤدوا مطلوبات هذه القسمة وهذا الاذن فيقول : **(ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغوا في حاجة من لا يستطيع ابلاغه حاجته)** وهذا يعطينا الدرس على ان الذين تكون لهم أسباب الى السلطان أو أسباب الى الحاكم أو أسباب الى الوالى يجب ان يكونوا رسل خير .. وسفارة للذين لا يستطيعون ان يقتربوا من مكانه وأن يأتوا الى حضرته ليسمعوا عنه ... ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغه حاجته ... ثم يعمم الحكم فيقول : **(فانه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغه ثبت الله قدميه يوم القيامة)** معنى ذلك انه يعطى الأسوة المطلوبة في أن يكون الذين يحظون بأذان الحاكمين أو يحظون بمجالس الحاكمين أن يكونوا وسائل خير عندهم لمن لم يستطع أن يصل الى ذلك المكان ... والثن أن يثبت الله قدميه يوم القيامة ... قال في رواية سفيان ابن وكيع **(يدخلون روادا)** ومعنى يدخلون روادا أى لا يتطلبون الدخول لقصد الدخول وإنما يتطلبون الدخول لكي يكونوا روادا يحملون الخير الى الناس ... **(ولا يتفرقون الا عن نواق)** ويخرجون أدلة) يعنى فقهاء كل واحد منهم يستطيع أن ينقل ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يقول ما فقهه عنه وبذلك تنتشر دعوته صلى الله عليه وسلم عند من لم يحضر مجلسه بواسطة من حضر هذه المجالس .



مخرجه صلى الله عليه وسلم

قال الحسين : فسألته عن خروجه صلى الله عليه وسلم كيف كان يصنع فيه ، فقال : « كان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعينهم ويؤلفهم ولا يفرقهم » ومعنى يخزن لسانه انه لا يهزل في كلامه .. لا يتكلم الا في الموضوع الذى يعلم انه يؤلف القوم ويعنى هؤلاء القوم .. (وكان يكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم) يكرم كريم كل قوم لأن ما معنى كريم كل قوم ؟ .. هو الذى يجد عنده القوم راحتهم في ذوات نفوسهم .. في ذوات أيديهم الضيقة .. وما دام انسان خصاله الكريمة متعددة الى الغير ، وما عنده من خير الله متعدد الى الغير فمثل هذا يؤمن ان يكون واليا على هؤلاء لأنه اذا كان قد تعدى منه الخير وهو غير ظالم فهذا يطمئن على انه ان ولى الأمر فلن يأخذ شيئا لنفسه .. فانه يكرم كريم كل قوم لأنه يستحق ان يكرم .. وبعد ذلك يؤليه عليهم .. وبعد ذلك قال : (يحذر الناس من غير ان يطوى عن أحد بشره وخلقه) يعنى فطن .. يعرف حين يتكلم انسان أن يزنه بالميزان الاحتراسى .. بالميزان الحسنى .. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عرضة لأن يدخل عليه المنافقون .. كان عرضة لأن يدخل عليه من يدس عليه ، فكان صلى الله عليه وسلم يحذر الناس لكن هذا الحذر لا يتعدى الى انفعاله على الغير .. (من ان يطوى عن أحد بشره وخلقه ، يتفقد أصحابه) ومعنى يتفقد أصحابه أنه اذا غاب واحد

سأل عنه .. أين فلان ؟ ولماذا ؟ .. مريض .. فى حاجة .. فى أى شىء .. هذه تدل على حسن رعايته لأصحابه .. وإذا ما نظرنا الى مجرد سؤال القائد أو صاحب الجاه عن انسان تردد عليه ثم انقطع .. وهذا يعطيه مغنوية فى ذاته .. يعطيه أنه مذكور .. يعطيه أنه غير منسى .. يعطيه أنه اذا غاب افتقد .. هذا كله لصالح أمر الدعوة .. (يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس) لأنه ربما كان انسان عنده حياء لا يستطيع ان ينقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات نفسه أو ظروفه الخاصة فيسأل فلانا عن حال فلان .. ربما انه كان يستحى أن يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً .. (يحسن الحسن ويصوبه ، ويقبح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا) لا يغفل عن شىء مخافة أن تكون فيه أسوة بالغفلة ، وهذا يعطينا قاعدة أن الوالد أو الذى يتولى صدارة شىء لابد أن يحاسب نفسه قبل أن يطلب حساب الغير .. لماذا ؟ .. لأنه اذا غفل من له الولاية على الأمر فى شىء فالتابع يكون فى شيئين وتابع التابع فى ثلاثة وتابع تابع التابع فى أربعة .. اذن فالعصمة تأتى هنا من أن يكون من بيده الأمر الأعلى لا يغفل عن شىء حتى لا يستغله من هو دونه ليفعل فعله .. وإذا ما نظرنا الى الفساد الموجود فى أى ادارة أو أى جهة هى أن المرؤوسين أو المتبوعين يجربون على الرئيس الأعلى شيئاً من النقص أو شيئاً من التهاون أو عدم الدقة والاحتياط فى الأمور .. ومعنى ذلك يكونون هم كما يحبون .. ومن هنا ينشأ الفساد .. فلا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا .. (لكل حال عنده عقاد) أى لكل حال من الأحوال عنده قوة وميزان يعطى الحال على قدر حجمه .. (لا يتجاوز الحق ولا يقصر عنه ، الذين يلونه من الناس خيارهم) يلونه من الناس أى فى مجلسه .. (وأفضلهم عنده أهمهم نصيحة) يعنى اذا جلس معه ينصحه ويقول لهذا كذا ولهذا كذا وليس لمن يغشه .. لكن اذا نظرنا فى مناهيس الحكم الفاشل

أو الإدارات الفاسدة نجد أن الذين يلون الناس من الناس هم الذين ينافقونهم .. هم الذين يحسنون لهم القبيح .. هم الذين يقبحون لهم الحسن .. هم الذين ينقلون إلى أذن الحاكم أو الوالي أشياء غير واقعة لكي تخدم أغراضا عندهم .. ولكنه صلى الله عليه وسلم كان الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة .. ويعنى أعمهم نصيحة هو الذى ينصح فى كل أمر يرى فيه وجهة الخير لصالح منهج الدعوة .

وبعد ذلك يتكلم سيدنا الحسين رضى الله عنه عن شيء آخر يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم .. ويستهل هذا الحديث أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس ولا يقوم إلا على ذكر .. لأن معنى لا يجلس ولا يقوم أى لا ينتقل من حال إلى حال .. أى بداية ونهاية .. معنى يجلس أنه كان قائما ومعنى يقوم أنه كان جالسا .. إذن الرسول صلى الله عليه وسلم بين قائم وجالس .. فإذا كان صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر يعنى أنه حين يكون فى أمر آخر يذكر الحق سبحانه وتعالى .. ومعنى يذكر الحق : أن يكون الذى صرفه عن القيام إلى الجلوس أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى .. والذى صرفه عن الجلوس إلى القيام أمر يتعلق بالله سبحانه وتعالى .. ومادام الله على ذكره حين يجلس، إذن كل أموره دائما على ذكر من الحق سبحانه وتعالى .. بعد ذلك حينما يتكلم عن المجلس يقول : « لا يوطن الأماكن وينزى عن إيطانها » يعنى ليس لأحد مكان مخصوص .. بحيث إذا أتى لأبد أن يجلس فيها .. (فكان إذا انتهى إلى قوم جلس صلى الله عليه وسلم حيث ينتهى به المجلس) فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس .. يكون قدوة لكى لا يكون لأحد مكان خاص .. بحيث يحفظ له .. أن كان غائبا .. أو يقوم غيره عنه أن أقبل عليه .. (يعطى كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب

أحد أن أحدا أكرم عليه منه) تلك هي عدالة الرعاية .. لا ينصرف بحديثه ولا بعينه ولا بأذنه الى واحد دون الآخر .. بل يوزع هذه الخطوة على الجميع بالتسوية .. لماذا ؟ .. لأنه اذا ما اتجه الى انسان ولم يتجه الى آخر .. هذا الانسان ربما اخذ منزلة والرسول صلى الله عليه وسلم معصوم .. وحينما يكون هو أسوة فهو يعلمنا أن الحاكم لا يصح له أن يوزع عنايته ورعايته على واحد خاص .. بل يجب عليه مادام أعلن لأن يدخلوا عليه مجلسه وأن يجلسوا عنده ، فعليه أن يوزع نظره .. ويوزع أذنه .. ويوزع تحيته .. ويوزع كلامه ان تكلم على الجميع .. حتى لا يعرف أحد أن فلانا خير منه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن المقاييس كما قلنا هي المقاييس اليمانية .. (أفضلهم عنده أهمهم نصيحة وأشدهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة) .

وأيضا فان الحسين رضى الله عنه حينما تكلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة زاد أمر آخر بعد ما قال : (من جالسه أو قاومه لحاجته) يعنى اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس معه لينتكم معه في حاجة أو قاومه أى اخذ وهو قائم .. (صابره حتى يكون هو المنصرف عنه) اذن الاذن لمن ؟ .. الاذن ليس له .. انتهاء المقاومة ليس له .. انتهاء الوقت ليس له .. وانما هو لمن يجالسه أو لمن يقاومه .. (ومن سألته حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول .. قد وسع الناس بسطة وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء .. مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة .. لا ترفع عنده الأصوات ولا تقبل فيه الحلم ولا تنسى فلتاته) هب ان واحدا قال كلمة أو فلتة صارت منه .. لا ينقل من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غيره وكأنها لم تحدث أبدا وكأنها حذفت .

أدبه صلى الله عليه وسلم مع جلسائه

يقول الحسين أيضا في روايته عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان دائم البشر .. لين الجانب .. سهل الخلق) وهذه هي الصفات العامة .. وبعد ذلك قال : « يتغافل عما يشتهى » يعنى أن حدث شيء أمامه وهو لا يشتهيه يتغافل عنه وكأنه لم يره .. لأنه صلى الله عليه وسلم يقدر نوازع النفس البشرية .. فلا يحب أن يخجل صاحب الشيء بأنه رأى منه .. (يتغافل عما لا يشتهى ولا يقيس منه قد ترك نفسه من ثلاث : من الرياء ومن الاكثار وما لا يعنيه .. وترك الناس من ثلاث : لا يضر أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته .. لا يتكلم صلى الله عليه وسلم الا فيما يرجو ثوابه) يعنى لا فضول عنده .. ان كان فى هذه الكلمة ثواب تكلم بها .. (واذا تكلم أطرق جلساؤه كان على رؤوسهم الطير) ومعنى على رؤوسهم الطير كناية عن أنه اذا كان فيه جماعة فكل واحد منهم يخاف أن يحرك رأسه مخافة أن يطير الطير .. (فاذا سكث تكلموا) هذا أدبهم مع حديثه صلى الله عليه وسلم .. ويتكلم بعد ذلك عن أدبهم عند حديث اخوانهم فيقول : « حديثهم حديث اولهم » يعنى بالدور .. ولا أحد يقاطع لتكلم .. (فاذا تكلم عندهم انسان لا يقطعون عليه كلامه حتى يفرغ فاذا فرغ تكلموا) وبعد ذلك لا يتعالى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين لهم مكانته العظيمة .. (يعجب مما يعجبون منه .. ويضحك مما يضحكون منه .. ويصبر للغيرب

على الجفوة في المنطق) يعنى واحد لا يعرف قدره صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك اشدت في منطقته كان يتطلف معه ويصبر عليه حتى ان بعض أصحابه كانت أمثال هذه المسائل قد تغيطهم وقد تهيجهم ليقوموا فيقتلوه .. ولذلك لما جاء الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وطالب من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم ما عنده .. قال له : يا أخا العرب أحسنت اليك ؟ . فقال : لا أحسنت ولا أجملت !! . واحد يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أحسنت ولا أجملت .. ماذا يكون موقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه .. ثم أخذه بيده ودخل البيت وزاده خيراً مما عنده في بيته .. ثم قال : يا أخا العرب أحسنت ؟ .. قال : أحسنت وأجملت .. فبورك فيك من أهل وعشيرة .. فقال صلى الله عليه وسلم له : اذا نحن خرجنا الى أصحابي فقل عندهم ما قلت حتى ترضى خواطرهم .. فلما خرجوا قال : لقد قال أخى كذا وكذا وكذا .. فقال الرجل : نعم .. فلما هداؤا .. قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما مثلى ومثل هذا كمثل رجل له ناقه شردت منه فتبعها أصحابه فزادوها نفورا .. فقال الرجل للقوم : يا قوم دعونى وناقتى فأنا أعلم بأمرها .. فسكتوا .. ثم أخذ يجمع شيئاً من الأرض ويمدها الى الناقة .. فجاعت الناقة لتأخذ ما في يده حتى أناخها وامتطاهما .. فمثلى ومثل هذا كمثل الرجل وناقته ، ولو انكم قمتم فقتلتموه أو صنعتم لى معه شيئاً لدخلتم النار » .. هذا هو موقفه صلى الله عليه وسلم من أنه يصبر للغريب على الجفوة في المنطق .. وبعد ذلك يقول الحسين رضى الله عنه : « وكان لا يقبل الثناء الا من مكافء » يعنى الذين يتطوعون بالمديح لا يقبل منهم .. ايما كلمة ثناء فقال رداً على موقف : « جوزيت خيراً » لأنه صنع كذا وتقبله .. (لا يقبل التطوع بالثناء ويقبله من مكافء) يعنى من مكافء على جميل قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وبعد ذلك يقول : « وكان لا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه هو فيقطعه بانتهاء أو بقيام » وهنا انتهى الحديث .. الا أن حديث وكيع بن أبي سفيان زاد شيئا .. أنه سأل عن سكوته صلى الله عليه وسلم فقال : « جمع له صلى الله عليه وسلم السكوت في أربع : في الحلم والحذر والتقدير والتفكير » أما التقدير — كما قلنا سابقا — في تسويته النظر والاستماع بين جلسائه .. وأما التفكير ففيما يبقى وفيما يفنى .. (وجمع الحلم في الصبر — فكأنه لا يغضبه شيء يستفذه لذاته — وجمع له في الحذر أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح لينتهى عنه ، واجتهاد الرأي في إصلاح الأمة ، والقيام لأمره بها جمع لهم من أمر الدنيا والآخرة) صلى الله عليه وسلم وعلى آله .



المعجزات النبوية

للسنة النبوية معجزات أفردت بالتأليف تحت عنوان :
(اعلام النبوة) وهى تخبر بأشياء مستقبلية ، ليس للمخبر دخل
فى وقوعها ، حتى لا يعتبر الوقوع منه افتعال لتصديقه فيما
يقال .

والمعجزة ليست مهمة لمن نقلت اليه ، ولكن لمن شاهدها ،
لان الله أجراها على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليثبت
بها ايمان من عاصره ، حتى يقوى على تحمل تبعات أولية الايمان
فى عالم الكفر .

فتفجر الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مثلاً ،
واشباع العدد الكثير بالقليل من الطعام ، كل ذلك مقصود به من
شاهد هذه الوقائع . أما من لم يشهدها ، فان اتسع ظنه لحصول
ذلك على يديه صلى الله عليه وسلم ، فبها ونعمت ، ومن لم
يتسع ظنه لذلك — بسبب ما قد يراه خلافاً فى الأسانيد — فحسبه
معجزة القرآن الباقية الخالدة ..

والذى يعطينا اليقين فى اعجازات النبوة ، هو ما صدر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أكده مستقبل الزمن الآتى
بعد القول .

فمثلا حين يخط الرسول صلى الله عليه وسلم يوم بدر على الأرض مكان مصرع كل واحد من صناديد الكفار ، ثم تدور المعركة ، فليس لحمد صلى الله عليه وسلم ولا لأتباعه — قوة تستطيع أن توجد المقتول في المكان الذى رسمه صلى الله عليه وسلم ، لأن المعركة كر وفر بدون اعداد سابق ثم يحدث وأن تأتى مصارع القوم في أماكنها التى حددها الرسول صلى الله عليه وسلم .!

ولفتناول بتفصيل اكثر قصة سرية مؤتة ، حينما اخبر صلى الله عليه وسلم بتتابع الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر ابن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، وقال : ان قتل زيد فالأمر جعفر فان قتل ، فعبد الله بن رواحة . فان قتل ، فليرتض المسلمون رجلا من بينهم .

والذى يعيننا فى هذه الغزوة ، ما اخبر صلى الله عليه وسلم — وهو بالمدينة — حين نادى فى الناس : الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وعيَّناه تذرغان ، وقال : أيها الناس ، اخبركم عن جيشكم هذا الغازى ، انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا ، فاستغفروا له .. ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا ، فاستغفروا له .. ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة واثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ..

كل ذلك ولم يكن احد قد عاد من الغزوة ، والا لوجد المشركون — فى رد هذه المعجزة — دليلا على أنه اخبر بعد أن ابلغ من بشر ، ولما قدم يعلى بن أمية رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو أول وافد بخبر الجيش .. قال له النبى صلى الله عليه وسلم : ان شئت فأخبرنى . وان شئت اخبرتك . قال : فأخبرنى يا رسول الله لأزداد يقينا . فأخبره رسول الله

صلى الله عليه وسلم الخبر كله ، ووصف له ما كان . فقال :
والذى بعثك بالحق ، ما تركت من حديثهم حرفا واحدا . وان
أمرهم لكما ذكرت .

من اعلامات النبوة أيضا : قوله صلى الله عليه وسلم
لجابر بن عبد الله (جذ .. واقض) وذلك أن جابر قد اقترض
مالا من يهودى — وكان ميعاده حين جنى ثمر البلح ولكن نخل
جابر لم يثمر فى هذا العام — فقال صحابة رسول الله صلى الله
عليه وسلم : يا رسول الله سل اليهودى أن ينظر جابرا لان نخله
خاس هذا العام — يعنى لم يثمر — فطلب رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اليهودى أن ينظر جابرا . فقال : لا يا أبا القاسم ..

فذهب الرسول صلى الله عليه وسلم الى نخل جابر وسار
خلاله وذلك فى قصة طويلة — ثم قال : يا جابر (جذ .. واقض) —
أى أجن الثمار وسدد ما عليك .

فذهب جابر فجذ وقضى .. ورجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فرحا مستبشرا ، وأخبره بما كان . فقال الرسول
صلى الله عليه وسلم : أشهد أنى رسول الله .

فقوله جذ واقض ثقة منه فى أن الله لن يخذله فيما انطقه به ،
والا لما جازف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه
بكلمة قد لا يصدقها الواقع ..

ومن أعلامه صلى الله عليه وسلم ، ما حدث فى غزوة
الحديبية ، حين انتهى أمر المفاوضات الى أن يتفاوض عمرو
ابن سهيل عن قريش مع الرسول صلى الله عليه وسلم .. وحين
كتابة العهد ، قال صلى الله عليه وسلم لن يكتب : أكتب هذا

ما تعاهدنا عليه : محمد رسول الله قال عمرو : لو كنا نشهد أنك رسول الله ما وقفنا منك هذا الموقف . فأصر عمرو ألا توجد هذه الصفة وأصر على بن أبي طالب - وهو الكاتب - أن يكتبها حينئذ . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : اكتب ما يحب . اكتب عبد الله . فلم يقبل على - فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ستسام مثلها - أي ستعرض لمثل هذا الموقف - فتقبل . ثم توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتهى أمر الخلافة لعلي . وكان ما كان بينه وبين معاوية بن أبي سفيان في يوم صفين . فلما أرادوا أن يكتبوا عهداً ، قال على لمن يكتب : اكتب هذا ما تعاهد عليه بن أبي طالب أمير المؤمنين ، فقل له : لو صدقنا أنك أمير المؤمنين ، ما حدث بيننا وبينك هذا ولكن انزعها من العهد . فنزعها ..

وذلك مصداق لكلام الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينطق عن الهوى .



شبهات أثارها المستشرقين والرد عليها

أثار بعض المستشرقين أباطيل بهدف التشكيك في الرسالة النبوية الشريفة ، ومن هذه الأباطيل :

١ — ما أثاروه عن صلته صلى الله عليه وسلم بزوجاته وقد رأى بعضهم أن فيها نوعا من الخروج على مألوف الناس أو نوعا من الاستمتاع والانشغال بهذه المتعة عما في الحياة الروحية التي قامت دعوته على أساسها ، كذلك علاقته بزوجاته .

٢ — بعض الآيات التي عاتب فيها الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم هل هذه تنتقص من الكمال النبوي وكمال المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ ..

٣ — قوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » وقوله : « فلو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » والرسول اليوم ليس معنا .. فكيف يستغفر ؟ .. وهل معنى ذلك أنه لا مجال للاستغفار ؟ ..



شبهة تعدد الزوجات

ما يقوله المستشرقون ويروجونه وفتنتهم بالاستشراق دليل على رقة الدين عندهم .. هم يريدون أن يجدوا لأنفسهم شيئا مبررا ، هذه المسألة نبحت فيها مع مسلم لتثبيت اسلامه ومع غير المسلم .. لو كنا نريد أن نبحت مع غير المسلم فانا لا نبحت معه في جزئيات تتعلق بالرسول لأنه هو مؤمن بأنه غير رسول .. وما دام هو مؤمن بأنه غير رسول فماذا يضيره ان يكون ذلك الرسول سلوكه كذا وكذا وكذا !! .. ولكن ليأتى معى نبحت فى رسالته أولا فان اقتنع بأنه رسول فبعد ذلك لنا ميزان آخر .. لأن أنا أمنت بالرسول بواسطة المعجزة التى جاءت على يده فأصبح الرسول عندى هو الحكم فى كل كمال .. لا آخذ تصرفا من الرسول ثم أنصب أنا ميزانا من موازين الكمال أضعه لأقيس تصرفات الرسول عليه لأقول هذا يليق وهذا لا يليق .. لأن الأصل أن يكون فعله هو الكمال وهو المقياس .. أما أن أضع أنا مقياس كمال وأقول : تعالى يا محمد يا ابن عبد الله يا من بعثت رسولا لى أقيس تصرفاتك على الميزان الذى أضعه !! .. فهذا لا يمكن أبدا .. اذن فالأصل ان الرسول مادام ثبت عندى أنه رسول صادق فى التبليغ عن الله ففعله هو الميزان .. وبعد ذلك تأتى : لماذا يتهرب الناس الذين يتكلمون فى الزوجات من موقفهم من الله الى موقفهم من الرسول ؟ .. محمد صلى الله عليه وسلم لم يتزوج وانما زوج ..

إذن المفروض أن يصعد الخلاف في المسألة الى الله وليس لمحمد
 لأن الآية تقول : « عسى ربه أن يبدله أزواجا خيرا منكن »
 فكان ربنا هو الذى يطلق لمحمد .. وهو الذى يزوجه .. وآية امرأة
 زيد بن حارثة « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها » فمن الذى
 زوج ؟ .. الذى زوج هو الله .. إذن محمد منفعل .. وليس فاعلا
 للعملية .. فمن يريد أن يبحث .. عليه أن يصعد المسألة الى الله
 تعالى ويقول : لماذا فعل ربنا هكذا ؟ .. ثم الذين يبحثون هذا البحث
 نقول لهم : تعالوا مادام أن المسألة احصائية .. هل الرسول وسع
 عليه أم ضيق ؟ .. صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جامعا
 لتسعة .. ومن كان جامعا لأكثر من أربعة من أصحابه قال له :
 « امسك أربعة وفارق سائرهن » .. لكن هو لم يفعل هذا
 فى نفسه .. لماذا ؟ .. كان يجب أن يسأل لماذا ؟ .. فيقول له :
 هؤلاء بخصوصهن مطلوبات .. بدليل أننا لو بحثنا لوجدنا الإباحة
 فى المعدودات لا فى العدد .. وهناك فرق أن يكون المباح المعدود
 والمباح العدد .. المباح المعدود .. يعنى أن يكون عددهن تسعة
 بحيث اذا ماتت واحدة أو طلقها فعليه أن يأتى بواحدة غيرها ..
 هذا يكون لو أبيح له العدد .. وانما الذى أبيح له معدودات
 بحيث اذا نقصت واحدة فليس له أن يأتى مكانها واحدة ..
 وليس له أن يستبدل واحدة مكان أخرى « لا يحل لك النساء
 من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن » ..
 إذن نتكلم عن المعدودات لا عن العدد ، بدليل أنه لم يكن هناك
 نسق عاطفى فى كل هذا الزواج .. الرسول صلى الله عليه وسلم
 فى سن الخامسة والعشرين تزوج خديجة وكانت فوق الأربعين ..
 وبعد أن ماتت تزوج سودة بنت زمعة ، فما حظ سودة بنت زمعة
 من جهال يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. لقد كان زواجا
 لأجل الخدمة فقط .. ثم تزوج عائشة وهى بنت بست سنوات
 لدرجة أنها لم تدخل عليه الا بعد ثلاث سنين لكى تكون مهياة لبنت

الزوجية .. مع أنه قيل أنه لم يدخل بها الا في سن الخامسة عشرة .. وبعد ذلك نجد أن أم سلمة صاحبة عيال .. والخامسة .. وغيرهن .. كل واحدة لها قصة .. اذن فالاستثناء هنا للمعدودات لا للعدد .. وكان يجب أن نخضع لهم لو أن ذلك عدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأزواج .. نقول : لا .. هذه معدودات رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأزواج وايضا فان أى صحابى كان عنده أكثر من أربع أمسك أربعاً وفارق سائرهن .. المفارقة هذه ستجد لها من يتزوجها .. ولكن هؤلاء أمهات المؤمنين .. فإذا قلنا : يا رسول الله امسك أربعاً وطلق خمساً فأين يذهبن ؟ .. وأمهات المؤمنين لا يحل لأحد أن يتزوج منهن .. اذن فهذه بخصوص هؤلاء .. وهناك أيضا نظرة عاطفية أخرى حيث نجد أن في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت تهب قسمتها لعائشة .. امرأة تهب قسمتها لضررتها !! .. ما مدلول ذلك ؟ .. انها تظن جيدا لماذا تزوجها رسول الله .. انه تزوجها ليعطيها نيشانا بأنها أم المؤمنين فقط .. ومادام ليعطيها نيشان أم المؤمنين فقط فهي مدركة انها لا تغنى الرجل في مثل هذه المسائل .

وبعد ذلك نأتى الى ما استنبطه المرحوم مصطفى صادق الرافعى في أن نساء النبى ككشريات اجتمعن عنده لكى يسأله النفقة عندما راوا عنده أشياء أخذها من بنى قريظة وأموالا أخذها من اليهود فأردن أن يكون هذا المال سببا في رفع مستواهن .. فلما اجتمعن يسألنه النفقة انزل الله تعالى قوله : « يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحكن سراحا جميلا » لو أن النسق العاطفى موجود أو الاستمتاع موجود لأحضر لهم ما يتزين به ويرفهن وينعمن به .. ولكن قال لهم : ان هذه مسألة مقطوع منها ولا كلام فيها « ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرحكن سراحا جميلا » .

وبعد ذلك يعطى المنهج النبوى : « **وان كفتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » .. وهذا لا يتفق مع الاستمماع ، اذن فالمسألة هذه اذا كان يبحثها مسلم نقول له : لا تضع انت ايها الأخ المؤمن برسول الله وبصدق تبليغه عن الله معيارا من معايير الكمال .. ثم تأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقول تعالى لأعرض تصرفاتك على المعيار الذى أضعه .. والا بذلك نكون أحلنا ونقلنا المعيار من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصرفه الى أتباعه .. هذا من ناحية المسألة الأولى .. أما عن قوله صلى الله عليه وسلم (**حبب الى من دنياكم الطيب والنساء**) حبب اى لم احب .. فهو لم يقل أحببت حتى ينصرف الأمر الى أن هضم من غريزته ، فحبب الى كأنه أمر تكليفى عابه عليه من جعل الحب فى قلبه .. وحبب الى من دنياكم يعنى لست فاعل هذا الحب مثل (زوجناكها) تماما .. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجب أن نأتى تصرفاته ونقول كان يصح كذا أو لا يصح كذا .. وانما الأصل أن نقول : فعل أو لم يفعل ؟ .. فعل .. فهذا عين الكمال .. وكونى لم أفهم هذا الكمال فهو موضوع آخر .



شبهة العتاب

أما موضوع العتاب : فإن المستشرقين اتخذوها أرضية لكي ينشروا اعتراضاتهم التي يشككون بها في القرآن الكريم .. مثلا يقولون : ان هناك آية في القرآن تقول عن الرسول : **« ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى »** مادام أنه لم ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .. ساعة نطقه بما عدل الله له .. فمن أي شيء نطق ؟ .. ساعة نطق بالأمر الذي عدله الله له فيما بعد أو عتبه عليه .. هم لا يفرقون بين النطق عن الهوى .. والنطق بالوحى .. أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتكلم كلمة وعنده من الله وجه الحق فيها ثم هو الشخص يلفته عما عنده من الله .. فلان ما ينطق عن الهوى : ليس معنى ذلك أن يسارف الحقيقة انما المهم عنده أنه لم تكن عنده الحقيقة متضحة قبل ان ينطق ثم عدل عن الحقيقة لخدم هوى في نفسه .. هذا معنى ما ينطق عن الهوى .. هو عندما كان يجتهد الرأي لم يكن عنده حكم قاطع في المسألة من الله ثم زين له هواه أن يخالف .. اذن ما ينطق عن الهوى .. يعني نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عما انتقد في نفسه من الحق .. ولم يكن هناك حق معلوم له من الله ثم صرفه هواه عنه .. وهذا معنى كونه ما ينطق عن الهوى .. ثم الذين يأخذون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عدل له أو عتب عليه :

أولا : نقول لهم ها هو رسول وبشر .. ومن عدل له ابشر
 مثله أم ربه ؟ .. وأى استنكاف من بشر في أن يعدل له ربه منهجه !!
 فان المعدل هو الله وليس انسان مثله .. ولماذا لا نأخذ بما قاله
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عن نفسه : « يجد على فأقول
 أنا لست كأحدكم ويؤخذ مني فأقول ما أنا الا بشر مثلكم »
 فكان الرسول بتجريده عما يوحى اليه يصح أن يكون منه كذا
 ويصح أن يكون منه كذا .. ولذلك واحد يقول : ووجدك ضالا
 فهدى .. فكيف كان ضالا فهداه ؟ .. فنقول : ما هو الضلال ؟ ..
 ابحث عن معنى الضلال .. الضلال هو الا تصل الى منطقة
 الهدى .. وصولك الى منطقة الهدى عنده فرعان : الأول :
 أن تكون عالما بمنطقة الهدى ولا تزال غيا ، والثاني : الا تكون
 عالما بها .. يقال فلان ضل الطريق .. معنى ضل الطريق :
 اكان عارفا بالطريق الصبح ثم بعد ذلك تعمد أن يذهب الى الطريق
 الخلط ؟ .. أم لم يكن عارفا الطريق أصلا ؟ .. الرسول صلى الله
 عليه وسلم قصارى ما كان عنده أنه لا يعجبه طريق قومه
 لا في توجههم لألهتهم ولا في سلوكهم .. انما ما هو المنطق ..
 المنطق والخط الذى يجب أن يسير عليه ؟ .. فقال له ربه : انك
 كتبت متضايقا لا تعرف الطريق وأنا هديتك للطريق .. اذن فليس
 معنى ذلك انه كان عنده منعة حق ثم خالفه فيقال انه ضل ..
 اذن فنحن نقول له : هو ما ينطق عن الهوى صحيح .. يعنى
 أن كل ما صدر من حكم منه لم يكن فيه بلاغ عن الله .. لم يكن
 يعلم وجه الحق في شيء ثم جعل هواه يعدل الى شيء آخر ..
 بل محمد ملكه الدليل على أن هذا هو الحق .. وبعد ذلك ننظر
 نظرة أخرى فنقول : الأشياء التى عاتب الله فيها رسوله : أعاتب
 عليه أم عتب عليه لصالحه ؟ .. أمثلة : الرسول صلى الله عليه
 وسلم عندما غضبت بعض نسائه من أنه عمل كذا فحرم على نفسه
 بعض ما أحل الله .. الخطر كل الخطر في أن يحلل ما حرم الله ..

انما هو حرم على نفسه ما احل الله .. ومن الممكن أن أى فرد
يرفض أكل طعام معين .. أى حرمه على نفسه (كل الطعام
كان حلالاً لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه) .. الذى
حرم على نفسه ضيق على نفسه أم وسع ؟ .. بالطبع ضيق ..
اذن العتاب من الله لصالح محمد وليس عليه .. يقول له : لماذا
تضيّق على نفسك ما وسعه الله لك ؟ .. فهذا عتاب عليه صحيح
انما الأمر يتعلق به أم يتعلق بالغير ؟ .. هذا أمر يتعلق به ..
فهذه يجب أن تكون فى ميزان له لا فى ميزان عليه « لم تحرم ما أحل
الله لك » •



قصة ابن مكتوم

بعد ذلك نأتى لموضوع آخر .. موضوع الأهون .. موضوع ابن أم مكتوم .. وهو من المواضيع التى تكلم فيها المستشرقون بحجة النيل من اعجاز القرآن .. وصدق الرسالة .. تعالى يا أخى : الرسول صلى الله عليه وسلم ترك ابن أم مكتوم وهو الأسهل الى الأصعب .. ابن أم مكتوم يريد أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أسئلة جوابها سهل عنده صلى الله عليه وسلم فى الوقت الذى يتكلم فيه مع ناس عندهم خصومة وجذب .. اذن الرسول صلى الله عليه وسلم انتقل من الأسهل على نفسه الى الأصعب .. فعتاب ربنا عليه هنا هو لماذا فعل هكذا ؟ .. (وما عليك الا يزكى) .. فكأن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع نفسه فى موضع صعب من صناديد قريش بأن يقيم عليهم الحجة و .. و .. الخ .. فكأنه اعتقد أنهم ان لم يهتدوا فعليه وزر . فقال له : لا وزر عليك .. يعنى لماذا تكلف نفسك الأمر الصعب فى الدعوة وانت عليك البلاغ فقط وتترك الأمر السهل .. اذن فالعتاب لصالحه أم لغير صالحه ؟ .. خذها من ناحية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أمرا كان سهلا عليه جدا ولا يكلفه عنقا ولا يكلفه مشقة ثم ذهب الى أمر آخر يتطلب عنقا ومشقة .. ثم ينظر الى الحيثية .. الحيثية أن هؤلاء الذين تصدى لهم الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى أنهم لو اهتموا فلا اقل من أنهم لن يفتنوا المؤمنين .. ولا اقل من أن يؤمن اتباعهم .. فالأمر لصالح الدعوة بمشقة على

نفسه .. اذن فعتب الله عليه في قوله : « عبس وتولى » أن جاءه
الاعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفعه الذكرى .
أما من استغنى . فأنت له تصدى » ثم قال : « وما عليك ألا يزكى »
يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحمل نفسه على
الأمر الشاق ويترك الأمر السهل فالله عتب عليه .. تماما كما
لو دخل الانسان منا على ابنه مثلا فوجده يذاكر في اليوم عشر
ساعات او عشرين ساعة فيعاتبه .. ولكن لماذا يعاتبه ؟ ..
هل لأنه قصر أم لأنه حمل نفسه أكثر مما يطلب منه ؟ ..



أسرى بدر

ثم ننظر الى هذه الامور من ناحية أخرى ... فهي تدل على امانة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التبليغ عن ربه .. فهو ينقل إلينا أمرا يتعلق بحكم عاتبه الله فيه ... وبعد ذلك انتهى أمر العتب الى نسخ حكم عمل الرسول أم تأييده ؟ .. ولنضرب لذلك مثالا بأسرى بدر (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) وفي تفسير هذه الآية قيل ان الرسول صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه وكل منهم كان له رأى ... فعمر رأى رايًا وأبو بكر رأى رايًا ... وعبد الله بن رواحة رأى رايًا وغيرهم ... ثم أخذوا برأى معين وعملوا به ... وفي اليوم التالي دخل عمر على الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فتوجدهما يبكيان ... فسألتهما ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أبكى للذى كاد أن يصيبنا .. هنا قال هؤلاء المشككون : ان القرآن جاء مخطئا — حاشاه — رسول الله صلى الله عليه وسلم ... لكننا نطرح الرواية والتفسير على ذلك : هل عدل الخطأ أم أقره ؟ .. لم يعدل الخطأ ... الله سبحانه وتعالى احترم الظروف المرجحة لأخذ هذا الرأى .. وبعد ذلك قال : (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) فالحكم لم يتغير ... ومعنى أن الحكم لم يتغير — ومع ذلك قال لنا ذلك — ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان مبلغا أميناً .. لو ان الحكم كان قد تغير نقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطر

ان يذكر هذه الحكاية لانها حيثة تغير الحكم ...فكان فيه رأى
بأخذ الفداء .. والآخر بقتل الاسرى ... ثم رجح أخذ الفداء .
وبعض المفسرين يقول : سبق فى علم الله تعالى أنه سيبيح لهم
أخذ الفداء ، ولكن (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى
الأرض) ... يعنى كان المفروض أن تنتظر الى أن ينزل الحكم .

* * *

حكاية زيد ابن حارثة

ولذلك فان الحق سبحانه وتعالى ساعة أن يأتي باستدراك على حكم قاله صلى الله عليه وسلم ببشريته يعبر عنه التعبير الدقيق ... مثلاً زيد بن حارثة لما جاء أبوه وعمه وعرفا أنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادا أن يأخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيره : أما أن يذهب مع أبيه وأما أن يظل معه ... فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذى اختار رسول الله على أبيه كيف يجازيه رسول الله ؟ .. سماه زيد بن محمد ... شرف كبير لزيد بن حارثة أن يكون زيد بن محمد ... وبعد ذلك أراد الله أن يبطل مسألة التبني فقال : (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله) تعبير دقيق .. كلمة أقسط ... فكأن ما صنعتها يا محمد قسط عدل ولكن نريد ما هو أعم وأسمى من هذا ... إذن فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يتخول أن يأتي الأشياء على مقتضى العدل ... فهذا ببشريتك ، ولكن عندي مسألة أعم تعم زيد بن حارثة وغيره ... مبدأ إسلامي وهو (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين) يعنى بعد أن كان زيد بن محمد أصبح مرة أخرى زيد بن حارثة ... وهذا بالنسبة لزيد نكسة .. لكن الله سبحانه وتعالى لم يفجعه هذه الفجيعة لكى يطبق مبدأ عاماً ... زيد ابن حارثة يقول : أنا كنت خادم شرف .. لكن بسبب تطبيق هذا المبدأ العام ... أرجع من زيد بن محمد الى زيد بن

حارثة !! ... فيقول له الله لكن سوف اعطيك نيشانا من عندي فوق ما اعطاك محمد .. فاذا كان محمد اعطاك شيئا فرب محمد سيعطيك ما هو خير مما اعطاك ... زيد ، هو الصحابي الوحيد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يذكر اسمه في القرآن الكريم متلوا ... ويتعبد بنلاوته .. (فلما قلنى زيد منها وطرا) !! .. بعد ان كان زيد بن محمد أصبح اسمه كلمة في القرآن نقرأها ونتعبد بها ... فهل أخذ شرفا أم لم يأخذ ؟ ... اذن نخلص من هذا فنقول : الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يكون بصدد أمر ليس عنده حكم فيه يتخلله فيختار الأصلح فيصنعه .

اذن فنقوله سبحانه : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ... الحق سبحانه ساعة أن قدم كلمة العفو .. فهذا معناه قطع كل شيء .. معنى عفا الله عنك كما نقول في عرفنا ان المسألة منتهية ... لا شيء فيها ... لكن ربنا يقول لرسوله هذا الكلام ليعلم اناسا آخرين ليس عندهم وحى ... فالرسول ربه سبحانه وتعالى هو الذي يعدل له ان اخطأ مثلا .. لكن غير الرسول من يعدل له ؟ .. اذن لابد ان كل واحد يعمل المسائل عن بيان .. حتى يتبين لك .. اذن العلة في مثل هذه المسألة حتى يتبين لك الذين صدقوا . فهذا وجد له من يصحح له ، لكن امثالنا وامثال خلفائه وامثال اتباعه لا يوجد من يصحح لهم .

اما عن قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) وقوله : (ولو أنهم أذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا) فنقول : الرسول صلى الله عليه وسلم كما قلنا هو مسك الختام

في البلاغ عن الله .. مادام مسك الختام في البلاغ عن الله ، فالحق يعلم ألا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ستأتى دعوته وأمته ستكون آخر الأمم التى عليها بعث الساعة وأنها الأمة التى يبلغ فيها العقل البشرى نضجه وتفتحته وطموحه واكتشافاته ... الخ . والعقل البشرى هو وان كان الميزة التى ميز الله سبحانه وتعالى بها الانسان .. الا أنه أيضا الخطر الذى يصاب من ناحيته الانسان !! .. لماذا ؟ ... لأن العقل البشرى يفتن .. وساعة أن يفتن يريد أن يعطن لنفسه أكثر من مجاله .. ولو أنه كما قلنا أن العقل البشرى يبحث أول ما يبحث فى أن يعقل مهمته .. ويعلم أنه آلة ادراك .. والعين آلة ادراك — فكما أن العين لها مجال فى أن ترى والأذن لها مجال فى أن تسمع كذلك أنت لك مجال فى أن تفعل ... فالعقل البشرى كلما قدم طموحه واكتشافاته لأسرار الكون ازداد بنفسه غرورا ... هذا الغرور مردود بشئ واحد هو أن ما يعتبره العقل البشرى شيئا يؤدى الى غروره كان يجب أن يجعله شيئا يعرف به قدره ... لأن معنى أن واحدا اكتشف شيئا اليوم أنه كان عاجزا عنه بالأمس ... إذن اكتشافات العقل ليست دليلا على قدرته وانما هى دليل على عجزه .. فلو لم يكن عاجزا بالأمس ما اكتشف اليوم . لو أنك أيها العقل صالح لادراك حقائق الأشياء لأدركتها دفعة واحدة لمجرد وجودك ... فهذا الانسان بعقله هذا كلما تقدم فى كشفه لحقائق الكون كلما بعد عن فطرة التدين ... ولنضرب لذلك مثلا ونقول : كان الناس حينما لا يجدون ماء لزرعهم ومواشيهم وأنفسهم .. ماذا كانوا يصنعون ؟ .. كانوا يفزعون الى الاستسقاء .. لأنه لا بديل عن ذلك . أما الآن إذا لم نجد الماء نتحايل فربما كانت هناك ماسورة بها كسر أو أن أجهزة الضغط بها عطل أو .. أو .. الخ .. إذن أصبح فيه وسائط من نشاطات العقل أبعدتنا .. فالوسائط بيننا وبين الفزع خزان لتخزين الماء فيه مدة طويلة .. ولكن لو لم يكن العقل

قد جاء بهذا الخزان وعمل الأوانى المستطرفة و .. و .. الخ .
فكان بمجرد امتناع الماء فزعنا الى الله .. أى أننا نبعد عن الايمان
بقدر عطاء العقل وهذه كارثة ... وأنه من المفروض كلها اكتشفنا
سرا من أسرار كون الله تعالى فى الوجود أن نزداد بالله تعلقا .

● الا يمكن أنه بعد أن يبعد بنا العقل عن الايمان بمقدار
ما يحقق من مكاسب ثم يقف عاجزا أن يجعلنا أشد ارتباطا بالله ؟

اذن كان ولا بد أن تكون الدعوة التى ستعاصر وثبات العقل فى
الابتكار دعوة دسمة مقابل هذا .. قدعوة الرسول هذه عظيمة
لأنها ستوالى العقل المتطور .. العقل الواثق .. ولذلك غان الحق
سبحانه وتعالى لا يعطى عطاءه فى كتابه دفعة واحدة .. والا لو
أنه أعطى عطاءه فى كتابه للقرن العشرين فقط ثم بعد ذلك يأتى
القرن الثلاثون فماذا يكون فيه من عطاء الله ؟ .. فينبغى اذن أن
يعطى الكتاب الكريم أسرار الله المودعة فيه بأقدار على قدر ما يناسب
طموح العقل .. واذن سيظل عطاء القرآن الى أن تقوم الساعة
بحيث يجعلنا هذا العطاء نتحقق من قوله تعالى : (سنريهم آياتنا
فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم الحق) ... وبعد ذلك حينما
يأخذ العقل قمته ولم يعد فى كونه سرا حتى يبحث العقل عنه
فيقول : (أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون
عليها أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا) .

اذن فالرسالة الحميدة جاءت ويعلم الحق أنها موقوته وعلى
ميعاد مع وثبة العقل الطموحية فى الابتكار .. لو لم يكن فى هذه
الرسالة ما يقابل هذا لبعد الناس عن منطق الله .

والنقطة الاخيرة هى المنفرة ... الرسول صلى الله عليه

وسلم خاتم وآخر اذن تستقبل رسالة السماء (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) ولا يأتى بعد ذلك رسول ... اذن فالرسول هو منول الفتح الى الله .. والفتح الى الله يعطى خير الله .. لكن الانسان لا يستقبل الخير دائما باليقظة المطلوبة له فتغفل نفسه .. فالرسول مع ذلك يقول : انا آخذ بيدك لأرجعك الى الفتح .. اذن فالحق سبحانه وتعالى جعل ميزان المؤمن فى الحكم على ايمانه يتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) .. اذن فهذا ميزان الايمان .. اذا اردت ان أعرف مرتبتى من الايمان فانظر موقفى من الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه المسألة .. وكلمة (يحكموك) .. لماذا لم يقل يحكموا الله ؟ .. لان الرسول هو الذى ينطق عن الله ولكن فيه أحكام كثيرة الرسول صلى الله عليه وسلم قالها هو فلا نستطيع أن نقول فيها قال الله فيها كذا ... اذن فمعنى (يحكموك) أى فيما بلغته عن الله وغيا استنبطته أنت من نفسك واجتهدت فيه .. ولذلك تجد أن آيات القرآن الكريم فى مسألة الطاعة مرة تقول : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فيكرر الأمر .. ومرة يقول : أطيعوا الله والرسول) .. ومرة يقول : (أطيعوا الرسول) .. لماذا ؟ .. لان فيه أمور اشترك فيها الرسول مع الله ، وأمور جاء الله بها اجمالا والرسول فسرهما ، قلنا هنا طاعة وهنا طاعة وأمور لم تأت عن الله ... اذن عندما يقول : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) وهو لا يحكم الا بما تلقاه عن الله أو بما اجتهد فيه توفيقا ووافقه الله سبحانه وتعالى عليه ، وبعد ذلك نأتى فى مسألة الذنوب .. اذن فهو أخذنا من مقام الفتح الايمانى وبعد ذلك يأخذ أيضا فى مقام الأوبة الى الله .

الرسول صلى الله عليه وسلم أعاد « انبجاء الانسان مع الوجود كله »

واذا اردنا أن نتعرض لتقييم الحق لرسوله صلى الله عليه وسلم وجدناه حين يخاطب جميع الرسل يخاطبهم مباشرة فيقول :
(يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) ... (يا نوح اهبط بسلام منا)
.. (فلما أتاه نودى يا موسى انى أنا ربك) .. (يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله)

ولكنه سبحانه وتعالى حينما يتوجه بالخطاب الى حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم ... لم يقل يا محمد ... ولا يا أحمد ..
انما قدم بين يدى ندائه قوله : (يا أيها النبى ...) .. ذلك أمر يرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أقرب المكانات من ربه .

ونجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكددها يقسم بأشياء كثيرة من اجناس شتى ... فيقسم بالجماد ...
ويقسم بالنبات ... ويقسم بالحيوان ... ويقسم بالملائكة ...
ولكننا لم نره اقسم ببشر مطلقا الا برسوله صلى الله عليه وسلم
حين يقول : (لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون) أى : وحياتك ...
يا محمد .. فكأن عمر رسول الله وحياة رسول الله أمر له مقامه عند ربه .

واذا كان الناس حين يمدحون انسانا بحسن الخلق .. ونبل الصفات .. وجمال الخلق .. فائهم يمدحونه لأنهم عرفوا الصفات وقيموها ببشريتهم .. وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الاشياء .. فان الحق حين يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه في الانسان فيقول : (**وانك لعلى خلق عظيم**) فحين يقول الحق سبحانه وتعالى ذلك الخطاب لرسوله ، فليس المقصود هنا الخلق المتواضع عليه عند البشر .. . لكن الخلق المطلوب لله ورسول الله اجتاز هذه المنزلة فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم .

والحق سبحانه وتعالى حين يريد هدى الى خلقه يرسل لهم رسلا .. والرسل يأتون بمنهج الله الى الناس ... ولكن المنهج يفيد الناس في حركاته ... والناس يألفون دائما شهوات انفسهم .. فتطرا عليهم الغفلة فينسون شيئا من المنهج ... وحين ينسون يأتى المجتمع لينبهم الى ذلك .

اذن فالانسان قد يكون او ابا الى ربه حين تكون نفسه لوامة . ولكن قد تأتى عليه فترة من الزمن فلا تلومه نفسه فعلى المجتمع حينئذ أن ينبهه الى نفسه وأن يعيده الى رشده ليهديه ... فاذا ما فسد المجتمع .. فماذا يكون الموقف ؟ .. لابد ان تتدخل السماء مرة ثانية لتأتى بالمنهج الجديد ... ولابد أن يكون على لسان رسول جديد بمعجزة جديدة ... ولكن الله سبحانه وتعالى قد شاء أن يختم الرسالات برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يأت نبي بعده .

اذن فالرسول — صلى الله عليه وسلم — هو الخاتم .. ومعنى الخاتم : أن الله أودع في أمته خصيصة .. تقوم مقام تعدد النبوات .. وتعدد الرسالات ..

اذن فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الخاتم لرسالات السماء .. ولهذا أن تكون في رسالته عناصر البقاء ... وفي أمته عناصر الحفاظ على هذه الرسالات ... ولذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « **الخير في وفي أمتى الى يوم القيامة** » .. ولكن الخير حين يكون محصورا فيه . فمحمد صلى الله عليه وسلم أهل لأن يتلقى كمالات متعددة ... ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدى ... فالخير فيه صلى الله عليه وسلم بأجمعه وكله ، .. ولكنه في أمته موزع ... فواحد يأخذ منه صفة .. وثالث يأخذ منه صفة بحيث اذا تجمعت صفات الكمال في أمته صلى الله عليه وسلم أمكن أن يكون النموذج الشائع في أمته كلها .

جاء الرسول ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله .. أى الوجود بجماده ونباته وحيوانه ... وكل هذا مسخر لله ، فلا يمكن أن يصدر عنه شيء الا بمراد الله منه .. ولكن الانسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع .. وجاء منه العاصى .. ولذلك يعرض الحق هذه القضية في عدم انسجام الانسان مع الوجود الخاضع .. الساجد .. الخاشع .. فيقول تعالى : « **ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب** .. » تلك هى أجناس باجماع ساجدة ... خاضعة لله .. ولكنه حين جاء عند الإنسان لم يأت ذلك الاجماع فقال سبحانه (**وكثير من الناس**) (**وكثير حق عليهم العذاب**) وكان المفروض أن ينسجم الانسان مع الوجود كله .. فيكون خاضعا لمنهج الله كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله .. ويأتلف معه .. وينسجم معه . ولا ينسجم شيء من الوجود مع الانسان الطائع .. أما الانسان العاصى فهو يشكل شقاقا بينه وبين أجناس الوجود : وجود ساجد .. مسبح .. خاشع .. وانسان متمرّد عاص !!

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للانسان بمنهج الله انسجامة مع الوجود .. فلا بدعة اذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد اليه انسجام الانسان معه .. وذلك هو الشأن معه صلى الله عليه وسلم ... جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الانسان .. ليكون الانسان خاضعا لبقية اجناس الكون لله تعالى ... اذن فلا عجب أن يفرح به الوجود من جماد ونبات وحيوان ... ولا عجب أن تفرح به الملائكة .. ولا عجب أن يفرح به طائع الجن ..

فاذا حدثنا أن ميلاده صلى الله عليه وسلم قد قرن بأشياء حدثت في الكون من ارهاصات في الوجود كله بميلاده ... فيجب علينا الا نستبعد ذلك .. لأنه هو الرسول الذي يعيد للانسان انسجامة مع الوجود كله ... وهذا الوجود كما نعرفه ليست فيه الحياة التى نعرفها في نفوسنا .. ولكن له حياة .. وله تعقل فى التلقى عن الله .. وله فرح وله حزن .. وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعرض لنا هذه القضية عرضا اجماليا ... لنعرف أن الكون كله عبد الله ... وخاضع له فقال سبحانه : **(وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)** أى كل شيء فى الوجود مسبح ولكننا الفنا التسبيح بألفاظ وبلغة .. فلما لم نسمع عن الكون ألفاظا ولفة .. قال بعض العلماء : انه تسبيح الدلالة على وجود الله وعلى وحدانيته .. نقول لهم : مرحبا .. له أيضا تسبيح الدلالة ولكن ذلك لا يمنع من التسبيح الحقيقى ... لأنه ان كان تسبيح دلالة كما يقولون فالحق يقول (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وأنتم قد فقهتموه .. اذن فهو غيره .

والذى يدل على ذلك أن الحق سبحانه عرض من اجناس الوجود أشياء وجعلها تشترك أيضا مع الانسان فيقول فى شأن

داود عليه السلام : (يا جبال أوبى معه) أى رجعى تسبيح الله ...
 أى يجب أن يوافق ترجيعك يا جبال ترجيع داود (وسخرنا مع
 داود الجبال يسبحن) ... والجبال مسبحة مع داود ومع غير
 داود ... ولكن الأمر أن يتفق تسبيح الجبال مع تسبيح داود
 ليكون كأنه عرس توحيدى فى الكون ... ويعرض الحق سبحانه
 أيضا أن لجميع الاجناس منطقا ولغة ... جهلنا به هو الذى جعلنا
 لا نفقهها .. فاذا علم الله انسانا من خلقه لغة هذه الاشياء أمكنه
 أن يتفقه تسبيحها ونطقها .. ويقول الحق سبحانه : (قالت نملة
 يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
 لا يشعرون) ... وسمعا سليمان ... وحمد الله على أن أنعم
 عليه بفهم لغة النمل ... وقد يقال ان تلك أمور تعلمتها النملة
 لتحافظ على ثوعها .. بدليل (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) فهى
 تحافظ على بقاء النوع .. والرد على هذا القول : بلا ... لانه
 حينما عرض الحق سبحانه أيضا قصة هدهد سليمان .. فماذا
 قال الهدهد ؟ .. لقد قال : (وجئتكم من سبا بنبا يقين . انى وجدت
 امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) .. هذا كلام
 الخبر .. ولكن يهمنى فى قضية العقيدة والتوحيد .. أنها أمر سائر
 فى كل اجناس الكون أن يقول الهدهد (وجئتها وقومها يسجدون
 للشمس من دون الله) .. هذا ما حز فى نفس الهدهد ... اذن
 فالهدهد يعرف من يجب أن يسبح ومن يجب أن يسبح له ...
 (ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض) .

اذن فاذا عرضت لنا السيرة العطرة أن أشياء من الكون فرحت
 برسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثت أشياء منها ، فذلك أمر
 لا نستبعده على كون مسيح لله .. عارف بحق الله .. وايضا لنا
 نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا .. ولكن الذين آمنوا هم الذين
 شاهدوها وسمعوها .. ومن سمعوها حجة على انفسهم ونحن

نتلقى عنهم الخبر .. فان كنا موثقين لهم في الخبر صدقناه .. وان لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر فنحن احرار في أن نصدق أو لا نصدق .. ولكن منطق الأشياء ومنطق الوجود لا يمنع وجود شيء من ذلك ... فاذا حدثنا أن ايوان كسرى قد شق .. فماذا في ذلك ؟ .. وماذا في ذلك من العجب ؟ .. انستبعد أن يؤقت شق الايوان بميلاد الرسول ؟ .. انستبعد على الله أن يخمد نار فارس ويؤقته مع ميلاد الرسول ؟ .. نستبعد على الله أن يؤقت أن تغيض بحيرة ساوة مع الميلاد ؟ ... لماذا هذا اذن !! .. فالقرآن حين يعرض لهذه القضية يعرض لما حدث في الكون في عام الفيل ...

ففى عام الفيل جاء قوم ليهدموا الكعبة ... بيت الله الذى اختاره لنفسه .. وحوله ونحوه نلتف جميعا في الصلاة .. هذا البيت له قالب أريد به ضر وهدم .. فلماذا لا نفهم أن الحق سبحانه وتعالى حافظ على مبنى البيت في ذلك العام وأوجد فيه الشخص الذى يحافظ على معناه في ذلك العام .. فتكون المحافظة على المبنى بمنع أبرهة من هدمه .. هى بعينها المحافظة على بقائه لربه بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ؟ .. واذا كان الحق سبحانه قد عرض لنا هذه القضية فانه قد عرضها عرضا عجيبا ... هذا العرض العجيب يتجلى في قوله سبحانه (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير وقتها ولكنه علم بالقضية من الله ... والمسألة كلها متعلقة بمحمد صلى الله عليه وسلم (فعل ربك) والرب تفيد التربية والكمال والبلوغ بالمربى الى درجة الكمال ... فمادام (فعل ربك) فتكون لحمد علاقة بالمحافظة على ذلك البيت الحرام .

دار العلوم للطباعة تليفون ٣١٧٤٨

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٠/٢٧٨٤

الترقيم الدولى ٧ - ١١ - ٧٣٢٨ - ٩٧٧